وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية /ماجستير /ادب

المادة

(دراسات نقدية قديمة)

المحاضرة الثالثة بعنوان

الصدق الواقعي والكذب الفني

أ.د. مريم محمد جاسم

١٤٤٧هـ ٢٠٢٦مـ

الكذب لغة:

قال ابن منظور: (الكَذِبُ نقيضُ الصِّدْقِ كَذَبَ يَكْذِبُ كَذِباً ... تقول كذَّبت الرجل إذا نسبته إلى الكذب وأكْذَبتُه إذا أخبرت أن الذي يحدث به كذب)!

الكذب اصطلاحاً:

(هو الأخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه سواء كان عمدا أم خطأ)٢

فالكذب لغة هو ضد الصدق وهو القول المخالف للواقع والحقيقة، والكذب اصطلاحا يعني مخالفة الشيء المنقول، أو الوصف، أو الحدث المعين لواقع الحال.

مفهوم قضية الصدق والكذب

تعتبر هذه القضية من القضايا النقدية المهمة التي اهتم بها النقاد قديما وحديثا، وهي تشكل لب النقد العربي من حيث التشكيل والبناء في الأدب، فإدَّ الصّدق إذا كان بعني -من وجهةٍ ما- الدقَّة في التعبيرِ، والابتعادَ عن الخيالِ، وملاءمة الواقعِ، فإنه في الأدب، على وجهِ الخصوصِ، يحملُ في توجيه مضامين الدقةِ في التعبيرِ الصادقِ عن الانفعالاتِ، والقدرة على رَصدِ الواقع في الأدبِ بعيدًا عن التزبيفِ في المشاعرِ، أو التزبيفِ في الواقعِ الموصوفِ في الأدب؛ نثرًا كات أمْ شعرًا، وهي قضية تتعلق بمجال الشعر أكثر من مجالات الأدب الأخرى بأنواعها المختلفة.

فيقصد بالصّدق في السّعر أن يربط كل تفاصيل السّعر بالصّدق؛ وذلك بأن يجعل الصّدق في التشبيه، والصّدق في السّاعر، والصّدق في القصيدة، فالصّدق هو السّلامة من الخطأ في اللفظ والتركيب والمعنى.

الصّدق هو أن تكون القصيدة صادقة في التعبير عن ذات السّاعر، وأن تكون القصيدة صادقة من الناحية التاريخية، فإذا قصّت خبرًا أو أسطورة ينبغي أن يكون صادقًا صحيحًا، ومن الصّدق أيضًا الصّدق الأخلاقي، فإذا أراد السّاعر أن يمدح أو يذم فلا ينسب البخل للكريم، ولا الكرم للبخيل، وكذلك أيضًا لا ينسب الشجاعة للضعيف الجبان، ولا ينسب الجبن للقوي الشجاع، فالصّدق السّعري يقضي على المسافة بين ما يفعله السّاعر ويقوله!.

فالصدق كما أشار إليه ابن طباطبا: مطابقة الكلام لمقتضى الحال، أي مخاطبة كل إنسان بما هو عليه ويستحقه.

والصدق: مطابقة الواقع وهو أن يعد لكلّ معنى ما يلي به من لفظ القصد للصدق: يعني اكتمال الصفة، بحيث لا يمكن الزيادة عليها كما قلنا سابقًا؟.

أمّا الكذب السّعري فهو المبالغة والغلو في المعاني السّعريّة أو في المشاعر أو نقل الواقع نقلًا محرّفًا بعيدا عن الحقيقة، فإذا ما أراد الشاعر أن يتطرّق إلى موضوعٍ معيّن حسّنه وجمّله بلفظه السّعري كما يرغب هو حسب هواه، وليس كما هو واقعه وحقيقته، كذلك إذا أراد الشاعر أن يمتدح شخصًا بالغَ في ذلك حتّى وصل حدًّا ليس موجودًا بالشخص الممدوح، وكذلك أيضًا إذا ما تناول أمرًا ليس له تجربة به فإنّه بتصوّر مشاعر وأحاسيس، ويختلق أشياء من خياله لم يعشها ولم يرها من قبل، كل هذا يعتبر من الكذب السّعري.

فالكذب: مخالفة الواقع، وهو ضرب من ضروب الخيال الاتساع والتّخيُّل.

والغلو: عندما يصل الخيال إلى مرحلة يتجاوز الحد المعقول عادة وعقلا .

والغلو في اللفظ: هو الإفراط في الكذب.

آراء النقاد حول قضية الصدق والكذب

لم تظهر قضيّة الصّدق والكذب السّعري إلّا في وقتٍ متأخِّرٍ في الدّراسات النقدّيّة، فقد ظهرت بعض ملامح هذه القضيّة في القديم، إلّا أنّها لم تظهر على دراسات وأبحاث كما في الوقت التالي، وأوّل إرهاصات هذه القضيّة كانت عندما سمح الخليل بن أحمد أن يكذبوا كيفما يشاؤوا في شعرهم.

لتعتبر قضية الصدق والكذب من اقدم القضايا النقدية التي تناولها القدماء، وقد كثر الجدل حولها في النقد العربي القديم وإلى اليوم، فمن خلال ما أدرجه النقاد حول هذه القضية ضمن ثلاث تيارات متنوعة .

١-أعذب الشعر أصدقه .

٢-أعذب الشعر أكذبه .

٣-أعذب الشعر أقصده.

التيار الأول: أعذب الشعر أصدقه

ربط ابن طباطبا (الشعر بالصّدق من نواحي مختلفة كالصّدق فيّ االتشبيه والصّدق في الشاعر، والصّدق في القصيدة ...الخ ورايه يتلاءم مع اساس نظريته في التناسب، فالتناسب هو سرّ الجمال 'والصّدق سبيل التناسب الجمالي في القصيدة، وهو عمل ذهني يعرض على العقل ليقبله، أو يحكم فيه، أو العقل لا يطمئن إلى الصّدق وهو يستوحش من الكلام الجائر الباطل، والسّلامة من الخطأ في اللفظ والتركيب والمعنى، ويرى أنه على الشاعر أن يكون صادقا على ذات

نفسه ويكشف عمّا يختلج فيها بصدق عن الواقع، فلا يسمي الكريم بخيلا، بل لابدّ ان ينسب لكلّ وصف ما يقاربه في المعنى٢ ، ونجده يقول في هذا الباب: "

"ولحسن الشعر وقبول الفهم إياه علة أخرى وهي موافقته للحال التي عد معناها لها.... فإذا وافقت هذه الحالات، تضاعف حسن موقفها عنا ستمعها، لاسيما أذا أيدت بما يجذب القلوب من الصدق عن ذات النفس فأخذ مجموعة من النقاد بقبول هذا التيار أعذب الشعر أصدقه، ووجدوا أنّ الصّدق هو طريق السّعر، ومن النقّاد الذين اتجهوا هذا الاتجاه: ابن طباطبا العلوي (٢٥٠ هـ- ٣٢٢هـ) ابن طباطبا العلوي هو أوّل من تطرّق إلى قضيّة الصّدق والكذب الشّعري ابن طباطبا العلوي، وقد جاء الصّدق عنده بمعانٍ ودلالات كثيرة كما قلنا سابقا، منها الصدق عن ذات النفس، **وهو ما يسمّى بالصّدق الفنّي** والذي يقوم على نقل التجربة السّعريّة كما هي بصدق وأمانة دون زيادة أو نقصان. أيضًا لديه الصّدق التاريخي والصّدق الأخلاقي الذي يظهر في شعري المدح والهجاء والذي ينبغي بهما أن ينقل المادح صفات وأخلاق الممدوح كما هي دون مبالغة أو زيادة، وهناك أيضًا صدق التشبيه، وصدق التجربة الإنسانيّة بشكل عام.

فابن طباطبا هنا يعتبر الشاعر الحق هو ما يطابق الحقيقة والواقع والصّدق فيها وعدم الغلو والمبالغة، والاقتراب من الواقع. وصّح ابن طباطبا رأيه في الصّدق التصويري أو ما سمّاه بصدق التشبيه ، وما قارب الصدق من خلال قول أمريء إلقيس :

نظرت إليها والتجوم كأنّها مصابيح رهبان تشب لقفّار

ومن سلك هذا التيار الآمدي(ت٠٣٧١) فنجد الآمدي ينظر لصدق المعنى، وتطابقه مع الواقع في الشعرّ ما أجود إلا أصدقه. إذا كان له من ملحمة هذا التخليص، إذا يميل الآمدي بالإضافة إلى ابن طباطبا العلوي إلى هذا التيار، لأنه ممن يعتبر بجعل المعنى صادقا ومطابقا للواقع، فيزداد عذوبته بذلك.

التيار الثاني: أعذب الشعر أكذبه

ونجد قدامة بن جعفر(ت٠٣٣٧) قد غيّر من زاوية النظر حيث جعل "الكذب" مرادفا لغلو، إذ يعتبر الغلو في الشعر أفضل من الاقتصار على الوسط، وكان من أنصار مؤيّدي مقولة "اعذب الشعر أكذبه" حيث نسب قدامة بن جعفر الكذب في الشعر لليونان. فإنما يربد به المثل وبلوغ النهاية في النعت وهذا أحسن من المذهب الأخر! فموقف قدامة بن جعفر إذا يختلف عن رأي ابن طباطبا والجرجاني حيث نظر إلى قضية الصّدق والكذب من زاوية اخرى ، واختلف موقفه ايضا عن موقف متاثري بارسطو حيث جعل الكذب مرادفا للغلو والشعر مبني على التّخييل والذي هو الكذب .

ويرى أبو هلال العسكري (٠٣٩٥) من خلال كتابه "الصناعتين" أن أغلب الشعر قد بني على الكذب والاستحالة لاسيما في الشعر الجاهلي، حيث يقول: (ولا يقع الشعر في شيء من هذه الاشياء موقعا، ولكن له مواضع لا ينجع فيها غيره من الخطر والرسائل وغيرها، وإن كان أكثره قد بني على الكذب والاستحالة من الصفات الممتنعة، والنعوت الخارجة عن العادات، والالفاظ الكاذبة من قذف المحصنات، شهادة الزور، وقول البهتان لاسيما الشعر الجاهلي، الذي هو اقوى الشعر وافحا ليس يراد منه إلا حسن اللفظ، وجودة المعنى، هذا هو الذي سوغ استعمال الكذر وغيره، مما جرى ذكره فيه، وقيل لبعض الفلاسفة فلان يكذب في شعره، فقال: يراد من الشعر حسن الكلام والصدق يراد من الأنبياء)

فأبو هلال العسكري من خلال ما عرضه حول القضية يرى أن أغلب الشعر أساسه كذب واستحالة، خصوصا في الشعر الجاهلي ، وهذا ما سمح لهم باستعمال الكذب ليعطيه قوة وجمالا.وأيضا كان لبعض النقّاد اعتقاد وإيمان بمقولة "أعذب الشعر أكذبه"، ولكّ كلّ منهم الحياة وإنكارهم له إلّا أنهم قد اجتمعوا على حسنه في السّعر استدلّ بذلك بما جاء عن كعب بن زهير بن أبي سُلمى -رضي الله عنه- عندما أنشد قصيدته للنبي محمّد –صلى الله عليه وسلم- قائلًا:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ::: متيّمٌ إثرها لم يُفد مكبول

فالمتبول هو من ذهب عقله، والمكبول هو المقيّد؛ فمع الّ هذا الكذب السّعري قد ورد في شعر كعب إلّاّ أنّ النبي - صلى الله عليه وسلم- لم ينكر عليه ذلك، بل أعطاه بردته وتجاوز عنه .أبو سنان الخفاجي (٤٢٣ه - ٤٦٦ه) هو عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، تطرّق أبو سنان إلى هذا الموضوع في كتابه "سر الفصاحة" ولكن لم يذكر خلاله لفظي صدق السّعر وكذبه، إيّما تحدّث عن الغلو والمبالغة والإحالة، فيرى أيّ المبالغة والغلو في المعنى هو أمرٌ مُختلفٌ فيه. أشار إلى أنّ مِن الناس من حمد الغلو والمبالغة، واستدلّ على ذلك بقول النابغة عندما سئل عن أشعر الناس، فأجاب بأنّه من كان كذبه جيدًا، ورديئه مضحك، ومنهم من رفض الغلو والمبالغة التي تخرج إلى الإحالة، وذلك على نحو قول الشاعر أبي نواس:

وأخفت أهلَ الشركِ حتّى :::لتخافك التطف التي لم تولد

البيت السّابق فيه من المبالغة ما يصل حدّ الاستحالة، وهذا النوع من المبالغة قد رفضه بعض النقّاد لما فيه ابتعاد عن الواقع، وقد ذهب أبو سنان الخفاجي مذهب من استحسن المبالغة والغلو، ولكنّه فصّل استخدام الألفاظ مثل "كاد" وغيرها للتقريب من الواقع، وذلك على نحو قول البحتري:

أتاك الربيعُ الطّلقُ يختالُ ضاحكًا :.: من الحسن حتّى كاد أن يتكلّما

التيار الثالث: أعذب الشعر أقصده

أضاف المرزوقي(٠٤٢١) للتيّارين السّابقين "أعذب الشعر أصدقه" و"أعذب الشعر إكذبه" مقولة ثالثة لتكون المذهب الثالث للقضية وهي الاقتصاد وهي "اعذب الشعر

شعره ، إما ان ينحي منحى الصّدق، وإما أن ينحى منحى الكذب (الغلو، والمبالغة، والإغراق (وإما ان يكون مقتصدا بينهما.)